The Structure of the Maternal Dialogue in Al-Jahiz's Narratives "The Misers as a Model"

Ali Jihad Hamdoon

Ph.D. Student in Department of Islamic Sciences / Arabic language, University of Van Yuzuncu Yil, Turkey.
*Correspondence authors: alawee.alawee1988@gmail.com

ABSTRACT

The study aims highlight on Al-Jahiz with regard to the table narrations, which include around the table (Al-Khawan), and linking that relationship with the what is going on with miserliness that these interlocutors had and highlighting the role of dialogue trait of And and doing its types and functions to show the extent of integration between saying character and the attribute that it bears, specifically with between the words of the table narratives, the research vision was to dive into the descriptive regard to the lifestyle when analytical trend of the deep motives of misers, the way they talk, think and in the dialogue based on attending the table and its belongings, so we found a difference theorizing side, and The research included two aspects, a .the level of the interlocutors terminological definitions regarding we had a pause to explain the linguistic and the table-narrative text, and another applied dialogue, its types and functions within samples that we chose among the stories, anecdotes and analytical side to a group of emptiness of Al-Jahiz, which was specialized in the presence of the table anecdotes of the fertile ground in laying the main pillars of We have a what is related to it, to be and analytical and descriptive method in highlighting the dialogue research, relying on the reveals to us the extent of the miserliness It .exists between the characters image that interlocutor, after Al-Jahiz transmitted it to us in an endearing of the interviewee or the repulsive way. Our study tools were of non-traditional types and functions of and not so that dialogue that were the key to entering the world of miserliness and miserliness was based we would have the freedom to choose the samples on which the research ,and its dialogue structure that exists then within the framework of the table narratives actions and to arrive at a summary of the relationship between the characters in terms of It revolves between them that qualities with linking them to speech through the dialogue either by semantic persuasion or by intimidation and and is enticement

Keywords: Al-Jahiz's Narratives , misers, dialogue, character, narration

بنية الحوار المائدي في سرديات الجاحظ " البخلاء انموذجًا "

الباحث :- *علي جهاد حمدون الحسيني*
طالب دكتوراه في جامعة فان يوزونجييل التركية \كلية الالهيات قسم اللغة العربية وبلاغتها
alawee.alawee1988@gmail.com

الملخص :-

يهدف البحث إلى الكشف عن العلاقة بين شخصيات الجاحظ المتحاورة فيما يخص سرديات المائدة, والتي تكون مشتملة على ما يدور حول المائدة (الخوان), وربط تلك العلاقة مع صفة البخل التي كانت تحملها تلك الشخصيات المتحاورة وإبراز دور الحوار بأنواعه ووظائفه لبيان مدى التكامل بين القول والفعل وبين كلام الشخصية والصفة التي تحملها وتحديدًا فيما يخص سرديات المائدة, فكانت رؤية البحث الغوص في غمار التوجه التحليلي الوصفي لدوافع البخلاء العميقة وطريقة كلامهم وتفكيرهم وأسلوب حياتهم عند حضور المائدة ومتعلقاتها, لذلك وجدنا اختلاف في الحوار القائم باختلاف مستوى الشخصيات المتحاورة . وقد اشتمل البحث على جانبين جانب تنظيري كان لنا وقفة عنده لبيان التعاريف اللغوية والمصطلحية فيما يخص الحوار وأنواعه ووظائفه داخل النص السردي المائدي, وجانب آخر تطبيقي تحليلي لمجموعة عينات وقع عليها اختيارنا ضمن قصص ونوادر وطرائف بخلاء الجاحظ والتي كانت مختصة بحضور المائدة وما يتعلق بها, لتكون لنا أرضية خصبة في إرساء أعمدة البحث الرئيسة, معتمدين على المنهج التحليلي الوصفي في إبراز الصورة الحوارية القائمة بين الشخصيات, فكانت طريقة عرض المادة الحوارية بين شخصيات الجاحظ معتمدة على كل ما يخص الخوان وهو الطاولة التي يوضع عليها الطعام وما يدور حول المائدة من أحاديث وأفعال وأقوال تكشف لنا مدى البخل التي كانت عليه الشخصية المحاورة أو المتحاورة بعدما نقلها لنا الجاحظ بطريقة محببة لا منفرة , فكانت أدوات دراستنا من أنواع غير تقليدية ووظائف للحوار هي المفتاح للولوج إلى عالم البخل والبخلاء لتكون لنا الحرية في اختيار العينات التي قام عليها البحث ضمن إطار سرديات المائدة وبنيتها الحوارية القائمة عندها, لنصل بعدها إلى خلاصة العلاقة القائمة بين الشخصيات من أفعال وصفات مع ربطها بالكلام عن طريق الحوار الذي يدور بينهم ويكون إما بالإقناع الدلالي أو بأسلوب الترهيب والترغيب.

الكلمات المفتاحية :- الجاحظ, البخلاء, الحوار, الشخصية, السرد, المائدة.

***مدخل عن الحوار :-**

يُعد الحوار من الوسائل الفنية والجمالية المهمة التي يتوسل بها القاص في انجاز سرديته القصصية؛ ذلك أن الحوار بأنواعه وأنماطه وأشكاله نستطيع تقديمه على أنه العمود الفقري للبنية السردية داخل النص السردي القصصي [1] ,وبالحوار تتشكل الفاعلية القصصية للحدث عن طريق التواصل بين الشخصيات القصصية, فيقوم بعدة وظائف للربط بين عناصر السرد, فلا غنى للقاص عنه. وعلى ذلك فالحوار "علاقة تواصلية بين شخصيتين أو أكثر, وهو فعل كينوني قائم بين المتخاطبين, يعتمد تبادل سلسلة من الآراء والأفكار ... أو طرح الأسئلة المتعلقة بالحدث وتطوره وتفاصيل مكوناته والإجابة عليها ضمن حركة لغوية متبادلة "[2], ويمكننا تعريفه بأنه " حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات, أو هو كلام يقع بين الأديب ونفسه, أو من ينزله مقام نفسه "[3] , وهو من أهم الوسائل التي يعتمد عليها القاص في :-[4]

1- تطوير القصة وأحداثها .
2- تصوير الشخصية وملامحها .
3- خلق الجو والحالة التفاعلية في القصة .

وعلى ذلك فإن الحوار يدخل في خدمة النص القصصي السردي للتعبير عن شعور المتحاورين والكشف عن حالاتهم النفسية وسلوكياتهم العميقة عن طريق النفاذ إلى جوهرهم والبوح بما في داخلهم, لذا أصبح حضور الحوار في أي عمل قصصي الصفة الرئيسة للسرد القصصي[5], حيث استخدم إلى جانب السرد وبات جزءًا منه ومنتميًا إليه ومتممًا له لا دخيلًا عليه [6] . ولكي يعد الحوار حوارًا ناجحًا لابد أن تتجلى فيه صفتين هما : -[7]

1- أن يندمج في صلب القصة لكي لا يبدو للقارئ وكأنه عنصر دخيل عليها أو متطفل على شخصياتها.
2- أن يكون سلسًا رشيقًا مناسبًا للشخصية وللموقف وأن يحتوي على طاقات تمثيلية.

فقد يكون الحوار بين الكاتب والحبيبة, أو بين الكاتب والناس, أو بينه وبين نفسه, أو بينه وبين شئ رمزي يتخذه وسيلة للتعبير عن الغرض المقصود[8] . وبدورنا سنقوم بدراسة الحوار في بخلاء الجاحظ باعتباره وسيلة سردية مساعدة للكشف عن شخصياته البخيلة وإبراز سرديات مائدته, لذلك ارتأينا إلى تقسيم الحوار على محورين أخذ المحور الأول أنواع الحوار وحسب وجودها في قصص الجاحظ وهي (الحوار الصريح وغير الصريح), أما المحور الثاني فقد كشفنا من خلاله وظائف الحوار للكشف عن الشخصية ودفع الأحداث للأمام.

***المحور الأول :- أنواع الحوار**

1- الحوار الصريح:- ويمكننا تعريفه بأنه سرد يجري بين شخصية وأخرى أو عدة شخصيات لا يكون لإحداها هيمنة على الأخرى يعرضها لنا السارد بطريقة النقل دون تدخل[9] , وتكمن أهميته في كونه وسيلة سردية يسهم في تصوير الشخصيات والأحداث؛ ولذا يشكل عاملًا أساسيًا يساعد في "دفع العناصر السردية إلى الأمام حيث يرتبط وجوده بالبناء الداخلي للعمل القصصي معطيًا له تماسكًا ومرونة واستمرارية "[10] ,إذ تتضح فيه آليات الحوار القصصي بصورة واضحة من وسائل سردية ودلالات حوارية تتمثل بالأفعال (قال, قلت, يقولون, قلنا, قلتم,..... الخ)[11] , لذا يُعد هذا النوع من الحوار أكثر الأنواع شيوعًا في القصة إذ أنه يقوم على :- [12]

1- وجود طرفين متحاورين.
2- وجود قصة يجري الحوار بشأنها.

ويمكن النظر إلى الحوار في مدوّنة الجاحظ على أكثر من نمط وبحسب أركان الحوار وطبيعته وموضوعه وهدفه ومقصده وأسلوبه ولغته التعبيرية والتشكيلية, ويمكن القول أن أبسط أنواع الحوار هو الحوار الصريح وما كان بين طرفين اثنين فقط يتحاوران في موضوع واحد محدد وواضح, يجعل من سرديات المائدة ذات مقصد معين وواضح لا يحتمل التأويل ولا يميل إلى غيره ولا يخرج عنه, وقد كشف لنا الجاحظ عن هذا النوع من الحوار بصورة واسعة في قصص بخلائه وحظي باهتمام كبير في إيصال سردياته لنا عن طريقه, ففي أحد مقاطع كتابه جاء هذا الحوار مركزًا على المائدة في استفسار محدّد :[13] **"وقيل للجمّاز : رأيناك في دهليز فلان, وبين يديك قصعة, وأنت تأكل, فمن أيّ شيء كانت القصعة؟ وأيّ شيء فيها ؟ قال : قيء كلب في قحف خنزير "**

يبدأ القول الحواريّ الصريح بالأداة الحواريّة المشهورة والمعروفة في السرد العربيّ القديم بمختلف أشكاله عن طريق الفعل القوليّ المبني للمجهول " وقيل " وثم ما تلبث أن تظهر شخصية المحاوَر " للجمّاز ", فينطلق السؤال الحواريّ وقد تكون من أجزاء عديدة؛ يبدأ الجزء الأوّل منها بصفة عامة ذات طبيعة رؤيوية تسترجع الموقف " رأيناك في دهليز فلان", حيث يتمّ تعيين المكان " دهليز " بصورته الخاصّة مقترناً بصاحبه "فلان", و"فلان" هنا هو معروف بين طرفي الحوار لكنه محجوب عن المتلقّي لأسباب سردية موضوعية, تتعلق بعدم حاجة المتلقّي لمعرفة هذا الشخص المعنيّ بالدهليز لذا يتمّ وصفه بصفة غائبة .

الجزء الثاني من الجملة الحواريّة يدخل أكثر في التفاصيل الإجرائية الخاصة بالمائدة وسرديتها الاستفهامية, وذلك لبلوغ المقصد الحواريّ الأصل من هذه المحاورة " وبين يديك قصعة ", وهنا ينفتح الحوار على فضاء المائدة لأنّ القصعة هي الأداة الأبرز في موضوع المائدة, إذ بلا قصعة لا يمكن للمائدة أن تقوم قطعًا, والجملة الحواريّة هذه تحيل على التملك الكامل " بين يديك " وكأنّ القصعة له وحده لا يشاركه فيها أحد, على النحو الذي يجعل الفاعل المحاوَر " الجمّاز " قد حظي بمأدبة وحده .

يأتي الجزء الثالث من المحاورة " وأنت تأكل " حيث تكتمل صورة المائدة بين حضور القصعة بين يديه والقيام بفعل الأكل, تحت رصد كامل للراوي المحاوِر وهو يؤكد للمحاوَر أنّ الرؤية للحدث كانت كاملة بلا نقص, من خلال حضور القصعة واليدين ثم الأكل, وباكتمال صورة الحدث يأتي السؤال على شقّين, الشق الأوّل عن القصعة بوصفها أداة الطعام " فمن أيّ شيء كانت القصعة ؟" لمعرفة طبيعة الوعاء ومِمَّ صُنع, لأنّ مادة صنعه لها علاقة بتقييم طبيعة المائدة والأكل المقدّم فيها, أمّا الشق الثاني فيتجه السؤال فيه حول المحتوى "وأيّ شيء فيها ؟" لمعرفة نوع الطعام الموجودة في القصعة.

بعد أن تنتهي أجزاء السؤال بتفاصيله المتعددة سرعان ما يأتي الجواب الحواريّ صادمًا على نحو عالٍ من السخرية, وهو يبدأ بالفعل الحواريّ التقليديّ الخاص بشخصية المحاوَر "قال: " كي يوجّه فضاء المتلقّي نحو الجواب القادم للسؤال حول نوع القصعة أولًا ونوع الطعام الذي فيها ثانيًا, فيكون الجواب بادئًا على عكس السؤال بالمحتوى لأنّه الأكثر أهمية والأكثر جدوى من السؤال ليكون : "قيء كلب", وهو جواب صادم ومفاجئ كأنه يلطم السائل على وجهه وينتقده بشدّة على أنّه تدخّل فيما لا يعنيه, فهو شأن خاصّ به لا يرغب أحد في معرفته أولًا, ثم ليجعل السائل يعزف عن تصوّر الطعام الذي تناوله حين يصفه بهذا الوصف الطارد, كي يمنع عنه الاستئناس بإمكانية وجود جواب يغري السائل بنوع الطعام والتلذّذ بتخيله . وهو لا يكتفي بذلك بل يكمل الجواب حول طبيعة القصعة التي حملت هذا الطعام ليقول :" في قحف خنزير", حيث تصعد الإجابة إلى طبقة سخرية أعلى وأشد إيلامًا في تدمير فاعلية السؤال وإحراج السائل وكسب جولة المحاورة لصالحه, ولا شكّ أنّ القصعة المكوّنة من قحف خنزير لا تشجع على تخيّل إيجابي للمائدة, بل على العكس من ذلك تحيل على طبقات أخرى لها علاقة بالحلال والحرام إكمالًا للصدمة .

ومن النماذج على الحوار الصريح ما جاء في قول الجاحظ على لسان رجل من العرب حين سُئل عن القبائل العربية وعن قبيلة خزاعة بالتحديد حيث يقول :- [14] **"وقيل لرجل من العرب : قد نزلت بجميع القبائل, فكيف رأيت خزاعة؟ قال : جوع وأحاديث ".**

نلحظ أنّ السارد يبدأ هنا ايضًا بالأداة الحوارية المتمثلة (بالفعل القولي المبني للمجهول "وقيل") لكنه يبقي صورة شخصية المحاوَر مخفية بدون التصريح بذكر اسمها أو من هي علانية, مكتفيًا بالقول عنها بأنه" رجل من العرب "ومن الواضح أنّ هذا الرجل ذو مكانة جلية ورحالة بصورة مستمرة بدليل قول المحاوِر "قد نزلت بجميع القبائل" للدلالة على كثرة سفره وحله وترحاله ونزوله لدى أغلب القبائل العربية لينطلق السؤال الحواري من عدة أجزاء مقترنًا بصاحب السؤال الذي كان المحاوَر بالنسبة له معروف لكنه غير معروف بالنسبة للمتلقي لأسباب تتعلق بعدم حاجة القارئ لمعرفة هذا الشخص أو لعدم شعيل أزمة بين خزاعة وقبيلة الرجل إذا صُرح باسمه علانية في النص؛ لذلك تم وصفه بصفة غائبة تنكرية "وقيل لرجل من العرب".

ليدخل الجزء الثاني من الجملة الحوارية بتفاصيل أدق خاصة بقبيلة معينة من بين القبائل ألا وهي قبيلة خزاعة, ليكون السؤال على النحو الآتي :"فكيف رأيت خزاعة؟" والملاحظ من السؤال والأصل فيه أنه سؤال عام عن القبيلة غير محدد بين طرفي المحاورة ليس فيه تخصيص ولا تركيز على المائدة والتي هي صلب دراستنا وأساس اختيارنا لنماذج الدراسة التي يقوم عليها البحث .

ليأتي الجزء الثالث وهو جواب المحاوَر "شخصية الرجل" ليفتح لنا حضور صفة الجوع والتي تخص المائدة ليرصد المقصد الرئيس من طرح السؤال عليه, وبيان الغاية الأساسية من السؤال من خلال قوله :" جوع وأحاديث " لتكتمل صورة عدم حضور المائدة بفعل الجوع الذي يدل على بخل القبيلة وفعل الأحاديث الذي يدل على أنّ القبيلة مجرد كلام بلا أفعال وأنّ لحضور المائدة لابد من أن يكون هنا أفعال لا أقوال, ليضع الجواب الحواري التقليدي السؤال بطبقة من السخرية من القبيلة التي كان حضور المائدة عندها سلبي, لا نعلم هل كان الجواب واقعي بقدر تحميل المعنى الحقيقي للجواب أم مجرد بيان رأي بخصوص القبيلة التي ربما يكون للمحاوَر خلاف معها أو مع أحد أفرادها, إلا أن الطابع العام للجواب يوحي بما ذكرناه بصورة وصفية عامة .

ومن النماذج على هذا النوع من الحوار ما جاء في قول الجاحظ بنقله لرواية عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب [15]: **" ونزل عمر بن معدي كرب برجل من بني المغيرة _وهم أكثر قريش طعامًا_ فأتاه بما حضر _وقد كان فيما أتاه به فضل_ فقال لعمر بن الخطاب وهم أخواله : لئام بني المغيرة يا أمير المؤمنين, قال : وكيف ؟ قال : نزلت بهم فما قروني غير قوس وكعب وثور . قال عمر : إنّ ذلك لشبعة"**

يعد الحوار في هذا النموذج من الحوار الصريح وهو وسيلة الشخصية المرسلة في التعبير عن الفكرة وإيصالها إلى الشخصية الثانية المستقبلة لتكون هي الأخرى في موضع الإجابة والرد على الشخصية المرسلة, وفي هذا المشهد الحواري الذي يقدمه لنا الجاحظ بوصفه السارد له معبرًا عن وجود شخصيتين متحاورتين بوجود الأداة الحوارية الفعالة المتمثلة بالفعل " قال " وكان الجواب من قبل الشخصية المحاوَرة بالفعل ذاته " قال ". إذن بما أنّ المشهد الحواري مكتمل بحضور شخصيتين متحاورتين هما شخصية عمر بن معدي كرب وشخصية الخليفة عمر بن الخطاب فضلًا عن حضور رجل آخر من بني المغيرة _ وهو أخوال الخليفة عمر بن الخطاب _ينفتح لنا عن طريق الحوار القائم بينهم المقصد والغاية من موضوعنا والدخول في التفاصيل الإجرائية الخاصة بفضاء المائدة وسرديتها الاستفهامية.

فالإجراء الأوّل هو نزول عمر بن معدي كرب برجل من بني المغيرة لم يصرح لنا السارد بذكر اسمها صراحة بل اكتفى بالقول " رجل من بني المغيرة " ذلك أنّ التركيز سيكون منصبًا على القبيلة لا على الفرد المتمثلة بقبيلة بني المغيرة والمعروفة بكرمها للضيف وانها أكثر قريش طعامًا فضلًا عن أنهم أخوال الخليفة عمر بن الخطاب الطرف الثاني من المحاورة القائمة .

ليبدأ الإجراء الثاني بفتح المحاورة على مصراعيها بين الطرفين بقول عمر بن معدي كرب للخليفة عمر بن الخطاب " لئام بني المغيرة يا أمير المؤمنين " ليرد عليه المحاوَر بأداة استفهامية : وكيف؟ ليرد عليه المحاوِر : "نزلت بهم فما قروني غير قوس وكعب وثور "حيث المراد هنا أن بني المغيرة كانت تنحر للضيف الذبائح إلا الرجل الذي نزل عنده لم ينحر له ذبيحة واكتفى بما قد حضر عنده من الطعام ألا وهو قوس وكعب وثور, فالكعب هنا هو الكتلة من السمن, والثور هي القطعة من الأقط, والقوس هو بقية التمر في الجلة .

وبعد أن تنتهي أجزاء السؤال والاستفسار بين المتحاورين يأتي الجواب على عكس السؤال بقول عمر بن الخطاب " إنّ ذلك لشبعة " ليأتي بمثابة رد فعل وقول على كلام عمر بن معدي كرب الذي وصف بني المغيرة باللئم, ليصعّد في إجابته هذه بأنّ ما ذكره من طعام فيه شبعة للإنسان ولا يحتاج للاستزادة عن ذلك . لينهي بذلك المحاورة بينهم بإجابة دمرت فاعلية السؤال وإحراج السائل والدفاع عن الطعام المقدّم من الرجل بأنّ فيه شبعة وإيقاف المحاوِر من التمادي في التعرض للرجل ولقبيلته

ومما جاء في البخلاء أيضًا عن الحوار الصريح فيما يخص سرديات المائدة قول الجاحظ في إحدى طرائفه عن العنبري وأبي قطبة وقيلويه إذ يقول : [16]

حدثني المكي قال : كنت يومًا عند العنبريّ, إذ جاءت جارية أمه ومعها كوز فارغ فقالت : " قالت أمك : بلغني أن عندك مزمّلة, ويومنا يوم حار, فابعث لي بشربة منها في هذا الكوز " قال: " كذبتِ أمي أعقل من أن تبعث الكوز فارغ ونرده ملآن. اذهبي فاملئيه من ماء حبكم وفرغيه في حبنا, ثم املئيه من ماء مزملتنا حتى يكون شيء بشيء"

إنّ تمثلات الحوار الصريح في هذه الطرفة قد دارت بين شخصيتين رئيستين هما العنبريّ وجارية أمه, إلا أن المكي ومن بعده الجاحظ ليسا إلا رواة خارجيين لا علاقة لهما بالحوار سوى كونهما ناقلين للحوار بصورة مباشرة دون تدخل منهما أو إبداء رأي فيما ينقلان من حوار صريح.

والناظر لهذه المحاورة يلحظ أن حضور الأفعال " قال – قالت " ولدت الحوار بين الشخصيتين, وهو حوار قائم على المشاكسة بين الطرفين فيما يتعلق بسرديات المائدة, فبعد أن جاءت الجارية لطلب شربة ماء باردة من كوز العنبريّ بطلب من أمه _على حد قول الجارية _ سرعان ما كشف كذبتها بقوله " أمي أعقل من أن تبعث بكوز فارغ ونرده ملآن " هنا يكشف لنا الحوار طبيعة سرد الأحداث كاشفًا عن مدى بخل والدته التي تعلم منها أنّ لا شيء يكون إلا بمقابل ولكل شيءٍ شيء, ليفند كلامها بالأدلة وليعبر عن موقفه وموقف والدته مما ادعته الجارية, فالملاحظ أنّ سرعة الرد عليها ولّد نوعًا من الإيقاع التفاعلي في بنية السرد المائدي لطلب الجارية, فضلًا عن تصوير حدة الموقف بين الطرفين المتحاورين ورد فعلهما مما جعل الصورة لدى المتلقي أكثر إقناعًا وتأثيرًا في ترسيم الحالة بين الطلب ورد الفعل عليه, فكان الحوار هو الفيصل بينهما. إذن فالإجراءات التفصيلية الخاصة بسرديات المائدة في نموذج الحوار الصريح هذا تمثل بطلب الماء البارد من الجارية ورد العنبريّ عليها بأسلوب دراميكي واقعي ينمّ عن شدة بخله ووالدته, ليرسم الحوار الصورة المتكاملة لهذه الطرفة القائمة على سخرية الطلب وقوة الرد عليه بطريقة تجعل من الجميع مستسلمًا للاقتناع الإجباري لما ذكره العنبريّ في رده على الجارية.

2- الحوار غير الصريح:- وهو الحوار الذي نسمع فيه أقوال طرفٍ واحد ولا نسمع رد من الطرف الآخر, إذ يقوم السارد بتأدية الحوار بصورة فردية لشخصية واحدة تختفي ورائها أصوات الشخصيات الأخرى المتحاورة, وتغيّب آليات الحوار في هذا النوع فلا وجود للوسائل الحوارية الصريحة والأدوات المتعارف عليها في الحوار الصريح مثل (قال / قلت / قلنا / قالت .....) بل يقوم السارد بسرد الحوار بطريقة الوصف ويكون محتفظًا بوظيفة الحكي [17]. ومن التمثلات على هذا النوع من الحوار ما نجده في قصة الثوريّ على لسان الجاحظ إذ يقول :[18]

"وكان يقول لعياله : لا تلقوا نوى التمر والرطب, وتعوّدوا ابتلاعه, وخذوا حلوقكم بتسويغه, فأنّ النوى يعقد الشحم في البطن, ويدفئ الكليتين بذلك الشحم, واعتبروا ذلك ببطون الصفايا وجميع ما يعتلف النوى والله لو حملتم أنفسكم على البزر والنوى, وعلى قضم الشعير واعتلاف القت, لوجدتموها سريعو القبول, وقد يأكل الناس القتّ أقداحًا, والشعير فريكًا, ونوى البسر الأخضر, ونوى العجوة, فإنما بقيت الآن عليكم عقبة واحدة, لو رغبتم في الدفء لالتمستم الشحم, وكيف لا تطلبون شيئًا يغنيكم عن دخان الوقود وعن شناعة السكر, وعن ثِقل الغُرم, والشحم يفرّج القلب, ويبيض الوجه, والنار تسوّد الوجه, أنا أقدر أن أبتلع النوى وأعلفه الشاء, ولكني أقول ذلك بالنظر مني الكم"

يبدأ الحوار في هذا النموذج المختار بظهور صوت الثوريّ وحده دون غيره بأداة نهي "لا تلقوا النوى " للدلالة على مشروعية الطلب في ظل الاختيارات المتعددة لعياله, حيث أننا لم نرَ شخصيات متحاورة عبر الأفعال إنما كان صوت الثوريّ الذي نقله لنا الجاحظ بصورة مباشرة دون تدخل منه سوى إيصال الحوار الجاري بين الثوريّ وعياله الذين لم يكن لهم دور في المحاورة أيضًا, فقد كان صوت الثوريّ هو الوحيد الحاضر والقائم برسم الأفكار وطرح الرؤى المراد إيصالها لهم عن طريق السرد, وهذا النوع من الحوار يمثل أسلوبًا فنيًا للدلالة على تسليط الضوء صوب شخصية واحدة فقط دون غيرها للتركيز عليها وإعطائها بعدًا حواريًا في قبول ما يطرحه بالنسبة للشخصيات الأخرى المجه لها الحوار والمتمثلة بعيال الثوريّ, وهو ما جعل الحوار متصرّفًا إلى الإغراء والترغيب بما تطلقه شخصية الثوريّ, فمن المزايا التي قدمها الثوريّ في حواره مع عياله بعد أن كان لسردية المائدة الحضور من خلال نوى التمر والرطب والتي طلب منهم أن لا يلقوها بل يبتلعوها بعد أن أظهر بعض صفاتها ومميزاتها بأنها بأنها تعقد الشحم في البطن وتدفئ الكلتين بذلك الشحم أيضًا إلا أنّ الجاحظ حين يسرد لنا حوار الثوريّ حتى يبلغ فيها نهاية السخرية والإضحاك ذلك أنّ تلك الحجج التي ذكرها الثوريّ من فوائد للنوى ليست سوى تفاهات لا يصدقها العقل, فهو يغالط بقوله أن النوى يعقد الشحم في البطن, ويبني مغالطة على مغالطة بقوله : يدفئ الكلتين بذلك الشحم !!!

ليستمر الحوار بسرد الجاحظ لنا لقصة الثوريّ بقوله "واعتبروا ذلك ببطون الصفايا وجمع ما يعتلف النوى " حيث أنه هنا يربط ويقارن ما بين الإنسان والحيوان في محاولة_ ولشدة بخله_ تشبيه الأول بالثاني في قوة الاحتمال وتشابه المأكل, وهنا مغالطة أخرى تضاف إلى مغالطات الثوريّ الذي يشبه الإنسان بالحيوان, ليأتي بعدها في استرساله على لسان الثوريّ " والله لأحملتم أنفسكم على البزر والنوى وعلى قضم الشعير واعتلاف القت لوجدتموها سريعة القبول" ليصل هنا إلى قمة الهزل في الحوار بعد اقتناعه أنّ عياله قد انصاعوا له ووافقوا على ما يقول, إلى

أن يأتي على قوله " لو رغبتم بالدفء لالتمستم الشحم, كيف لا تطلبون شيئًا يغنيكم عن دخان الوقود" ليستمر بذكره لسلسلة المغالطات المسترسلة. فبالرغم من عدم قناعة الجاحظ بما يقوله على لسان الثوريّ إلا أنّ الحوار عند الثوريّ أخذ منحىً حقيقيًا واقعيًا قائمًا على أسس علمية!!! كيف لا ؟ وإنها تغني عن شفاعة السكر وعن ثقل الغرم وأنّ الشحم يفرج القلب ويبيض الوجه عكس النار التي تسود الوجه , حيث هنا يبدأ الثوريَ بمسار ثاني في الحوار بعد أن اكتفى بذكر ميزات بلع النوى وعقد شحمها في البطن, وختم كلامه وحواره مع عياله بمقولة :" أنا أقدر أن أبتلع النوى وأعلفها الشاء, ولكنّي أقول ذلك بالنظر مني إليكم " حيث يضع الجاحظ الثوريّ بهذا الكلام تحت جدليّة المحبة والنصح والإرشاد لعياله, فضلًا عن الظاهر والباطن الذي يكشف لنا من خلال الحوار العميق اعماق البخل في شخصية هذا البخيل وكشفه للمتلقي بدقة تشخيصية بأنّ الثوريّ غير واعي بتناقضاته بل ومنسجم معها انسجامًا تامًا, لعب الحوار غير الصريح في هذه القصة _قصة الثوريّ_ الدور البارز في الكشف عن سلوكيات الثوري عن طريق سرديات المائدة المتمثلة بنوى التمر والرطب, وكيفية أكلها ومدى فائدتها.

وفي انموذج آخر حوى على حوارٍ غير صريح ضمن قصة الثوريّ أيضًا حيث يسرد لنا الجاحظ على لسانه : [19]

" وكان يقول : كلّوا الباقلّى بقشوره, فإنّ الباقلّى يقوّل من أكلني بقشوري فقد أكلني, ومن أكلني بغير قشوري فأنا الذي آكله, فما حاجتكم إلى أن تصيروا طعامًا لطعامكم, وأكلًا لما جعل أكلًا لكم ؟"

يبدأ هذا الحوار غير الصريح الذي يسوقه لنا السارد ضمن سرديات المائدة بين شخصية الثوريّ ومجموعة لم يصرح لنا من هم, هل هم عياله؟ أم أصحابه ؟ لأسباب يستطيع الجاحظ وحده أن يبينها لنا, فيظهر لنا الجاحظ صوت الثوريّ وحده دون غيره, وهو أسلوبًا فنيًا للدلالة على عدم مشاركة أيّ طرفٍ آخر, مسلطًا الضوء على كلام الثوريّ لإعطائه بعدًا وقبولًا من خلال فعل الأمر الذي يبدأ بها الحوار (كلوا) حيث يحاور الثوريّ مجموعة من الأشخاص لبيان أهمية أكل الباقلّى بقشوره وذلك لشدة بخله, فيقول على لسان الباقلّى ناطقًا باسمها : من أكلني بقشوري فقد أكلني أي انتفع بي, ومن أكلني بغير قشوري فأنا الذي آكله وهنا أكل الباقلّى لمن أكلها بغير قشورها على سبيل المجاز لا الحقيقة للدلالة على الضرر وعدم الانتفاع من أكل الباقلّى بدون قشورها, حيث يستحضر الثوريّ في حواره مبدأ الترهيب والترغيب من خلال قوله " فما حاجتكم إلى أن تصيروا طعامًا لطعامكم, وأكلًا لما جعل أكلًا لكم" فكانت كل السبل متاحة أمامه لتحقيق ذلك ومواجهة الجماعة التي يحاورها, وإقناعها بما يريد إيصاله لها, فكان الحوار غير الصريح هنا متجهًا من الفرد _متمثلًا بشخصية الثوريّ عن طريق سردها لنا بواسطة الجاحظ_ إلى الجماعة متمثلةً في واو الجماعة من خلال الفعل (أكلوا), فنلاحظ مغالاة حوارية سردية يقوم بها الثوريّ نقلها لنا الجاحظ بمحاكاة تهكمية ساخرة استطاع من خلالها كشف طبائع البخلاء في تلك الفترة, فضلًا عن السلوك الذي يسلكه البخلاء لإظهار القناعة بصحة ما يقولونه بصورة محببة للنفوس من غير أن يكره بهم القارئ, حيث يغلّف أفعالهم بأسلوبه الفني وطريقته في كتابة قصصهم ونوادرهم وطرائفهم, محببًا لا منفّرًا, وهو ما جعل الحوار هنا ينصرف إلى إثبات وجهة نظر الثوريّ في مواجهة الجماعة وأعرافها وتقاليدها في أكل الباقلّى, فكانت الصورة الحواريّة التي وصلتنا بمثابة البوابة الرسمية لمجموعة البخلاء خلال تلك الفترة في رسم مفاتيح الدخول لإقناع المتحاورين معهم بما يرغبون إيصاله من أفكار ورؤى وأفعال خارج الأطر المتعارف عليها ضمن المجتمع آنذاك وإلى يومنا هذا.

***المحور الثاني :- وظائف الحوار**

يدرس هذا المحور الوظائف التي يؤديها الحوار من خلال الكشف عن الشخصية ودفع الأحداث إلى الأمام, فارتباطه هنا سيكون بالشخصية وبالحدث بصورة أساسية إذ يلعب الحوار دورًا بارزًا في الكشف عن تحديد أبعاد هذه الشخصية إذ يمكننا عد الحوار من الوسائل التشخيصية المهمة, وأيضًا يقوم الحوار بوظيفة دفع الأحداث للأمام, إذ يعد عاملًا مساعدًا في إضاءة جوانب الحدث والإسهام في البناء القصصي, ما يكون متصلًا في تفسير الأحداث أو التقدم بها نحو التلويح بالحل[20]. إذن فالحوار هنا يعد أداة ووسيلة فنية كاشفة عن الشخصية ومعبرة عن الحدث وتطويره لتحقيق وظيفتين رئيستين هما الكشف عن الشخصية ودواخلها والقدرة على قيادة سير الأحداث إلى الأمام [21].

1- الكشف عن الشخصية :-

ومن الحوار القائم على كشف الشخصية ما جاء على لسان المكي في حواره مع الجاحظ عن شخصية العنبري في إحدى طرائفه, ليبدأ الجاحظ سرده لها إذ يقول :[22] **" دخلت عليه يومًا, وإذا عنده جلة تمر وإذا ظئره جالسة قبالته فكلما أكل تمرة رمى بنواتها إليها فأخذتها فمصتها ساعة ثم عزلتها فقلت للمكي : أكان يدع على النواة من جسم التمر شيئاً ؟ قال : والله لقد رأيتها لاكت نواة مرة بعد أن مصتها فصاح بها صيحة, لو كانت قتلت قتيلًا ما كان عنده أكثر من ذلك. وما كانت إلا أن تبادله الأعراض وتسلم إليه الجوهر, وكانت تأخذ حلاوة النواة وتودعها ندوة الريق "**

الناظر في هذه الطرفة ومن خلال حوار الراوي _ الجاحظ_ مع المكي أنّ ما قام بسرده المكي عن العنبري ما هو إلا حوار ونقل وصفي لواقعة حدثت أمامه قام بتوصيلها لنا عن طريق الحوار مع الجاحظ لبيان صورة العنبري التي كان عليها وكيفية تعامله مع ظئره في أكل التمر, حيث لعب الحوار المتبادل هنا الدور الأبرز في رسم صورة شخصية العنبري والتي بينها لنا في تعاملها وسلوكها وطريقة أكلها للتمر مع ظئره وهو ما يخص موضوع بحثنا حيث كان لسرديات المائدة المتمثلة بأكله للتمر ورمي نواتها إلى ظئره لتقوم بمصها فقط وعزلها للاستفادة منها في أمور أخرى لم يحددها لنا المكي في حواره مع الجاحظ الخاص بالكشف عن شخصية العنبري فعن طريق الحوار القائم استحصلنا جملة من الصفات في شخصية العنبري صاحبت سريات المائدة القائمة بالفعل بحضور المكي وظئره, ليبين أن صفة البخل الشديد هي الصفة الرئيسة والراسمة لسلوك العنبري في تعامله مع ظئره وكيف أنه صرخ بها مرة إذ رآها لاكت النواة بعد مصها وكأنها قتلت قتيلًا, استطاع المكي في حواره مع الجاحظ إيصال المراد في الكشف عن شخصية العنبري في هذه السردية القائمة على حضور المائدة والمتمثلة بأكله للتمر, بوجود المكي وظئره التي لم يكن لها دور سوى إبراز صورة العنبري في كيفية التعامل معها بصورة سلبية قائمة على حضور الصفة الذكورية باعتبارها المتحكم في كل شيء, وبيان صورة المرآة التي لم يكن لها سوى التسليم والرضوخ والقبول, بالتالي حمل الحوار في طياته جانبًا من شخصية العنبري المتمثلة في طباعها وسلوكها وحتى في فكرها ونمط حياتها من خلال سردية المائدة المذكورة.

وقد جاء حوار ثان لكشف الشخصية وسلوكها وطرق تعاملها في طرائف شتى ذكرها لنا الجاحظ إذ يقول : [23] **" قال أبو الحسن المدائني : كان بالمدائن تمّار, وكان غلامه إذا دخل الحانوت يحتار فربما احتبس فاتهمه بأكل التمر, فسأله يومًا فأنكر, فدعا بقطنة بيضاء ثم قال : امضغها فمضغها, فلما أخرجها وجد فيها حلاوة وصفرة, قال : هذا دأبك كل يوم وأنا لا أعلم ؟ اخرج من داري"**

يتضح لنا من خلال ما قاله أبو الحسن المدائني بإيصال الصورة التي كان عليها ذلك التمّار في طريقة تعامله مع غلامه وسلوكياته في معرفة هل كان الغلام يأكل التمر أم لا بعد إنكاره لهذا الفعل عند سؤاله, ليسرد لنا أبو الحسن عن كيفية الكشف عن هذه الشخصية وكيف لعب الحوار هنا بين التمّار وغلامه وما قام به من جلب قطعة بيضاء وقوله لغلامه امضغها في صورة لسردية المائدة والتي كان سبب حضورها أكل الغلام للتمر عند دخوله حانوت التمّار, فالحوار هنا وفي صورة تأملية وقراءة متأنية كشف لنا عن أشياء حصلت بين التمّار وغلامه بحضور المدائني بينت لنا عن صفات ذلك التمّار ووضحت للقارئ مدى بخل التمّار وحرصه الشديد على التمر من الأكل لدرجة عدم ثقته من كلام الغلام في رده على اتهامه له بالإنكار من أكله, ليدفع التمّار بإجراء آخر بطلبه لقطعة قطن بيضاء ثم قوله للغلام امضغها فلما أخرجها وجد فيها حلاوة وصفرة حيث كان لهذا الإجراء فضلًا عن الحوار القائم بينهم السبب الرئيس في إيصال التمّار لقناعة تامة بأنّ الغلام كان يأكل التمر وهذا دأبه كل يوم دون علمه, فطرده من داره بعدًا هذا الموقف وهذا الحوار ليصلنا عن طريق المدائني في صورة لرسم صفات وسلوكيات ذلك التمّار وكشف شخصيته وما يحمله من بخل وشح, حيث انصب التركيز على الحوار الذي نقله لنا المدائني والذي دار بين التمّار وغلامه للكشف عن تلك الشخصية, فهنا كان للحوار دورًا بارزًا مساعدًا في إظهار ما أراد إيصاله لنا المدائني من صورة تكاملية عن شخصية عاصرها هو ونقلها لنا وبين كيف كانت معاملتها لغلامها, فكان الحوار هو القائم بهذه المهمة .

2- دفع الأحداث إلى الأمام :-

ومن المهام التي يقوم بها الحوار الجيد هي دفع الأحداث للأمام, ونجد تجسيد هذا النوع من الحوار في قصة محمد بن أبي المؤمل إذ يقول في أحد أجزائها : [24] **" وكان كثيرًا ما يقول لأصحابه : إذا بكروا عليه, لم لا نشرب أقداحًا على الريق ؟ فإنها تقتل الديدان, ونحفش لأنفسنا قليلًا, فإنها تأتي على جميع الفضول, وتشهى الطعام بعد ساعة. وسكره أطيب من سكر الكظة. والشراب على الملأة بلاء, وهو بعد ذلك دليل على أنك نبيذي خالص . ومن لم يشرب على الريق فهو نكس في الفتوة ودعيّ في أصحاب النبيذ, وإنما يخاف على كبده من سورة الشراب على الريق, من بعد عهده باللحم, وهذه الصبحة تغسل عنكم الأوضار وتنفي التخم, وليس دواء الخمار إلا الشرب بالكبار, والأعشى كان أعلم به حيث يقول :**

وكأس شربتُ على لذة وأخرى تداويت منها بها

وهذا _ حفظك الله _ هو اليوم الذي كانوا لا يعاينون فيه لقمة واحدة, ولا يدخل أجوافهم من النقل ما يزن خردلة, وهو يوم سروره التام, لأنه قد ربح المرزئة وتمتع بالمنادمة".

حيث هنا يؤدي الحوار غير الصريح إلى لملمة الحدث فضلًا عن ضغطه لأبعد حد ودفعه إلى أبعد نقطة, وهذا لا يتحقق إلا من خلال الحوار للوصول باتجاه الذروة, فقد لعب الحوار في هذه القصة دورًا بارزًا في دفع الحدث ألا وهو الإبكار بالمجيء عنده ليبدأ حواره معهم ليكون بمثابة بوابة يفتح الطريق من خلالها نحو الكشف عن الحدث وتطويره ودفعه إلى الأمام, فعندما قام أصحابه بالإبكار بدأ بالحوار ليوظفه في رسم طريق لإبعاد تقديم الطعام لهم الخاص بسردية المائدة, وذلك بصب الاهتمام على الشرب دون الطعام ليسرد لنا جملة من الفوائد التي يقدمها الشرب على الريق منها قتل الديدان وتشهي الطعام بعد ساعة من الشرب, وسكره أطيب من سكر الكظة, ليسرد محمد بن أبي المؤمل جملة من الصفات التي تعتري من لا يشرب الخمر على الريق بقوله : فهو نكِس في الفتوة ودعيّ في أصحاب النبيذ ويخاف على كبده من سورة الشراب على الريق لينهي حديثه باستشهاده بأحد أبيات الشعر للأعشى الخاصة بالشرب ليثبت ما جاء به, فكل ذلك كان منصب على عدم معاينتهم في ذلك اليوم على أي لقمة ولا يدخل أجوافهم من النقل ما يزن مقدار خردلة, فكان ذلك يوم سروره التام لأنه ربح المرزئة وهي المصيبة لدى أصحابه وتمتع بالمنادمة أي استمرّ في منادمتهم إلى فترة متأخرة من الليل دون حصولهم على الطعام, فكان الحوار المتبادل هنا بين محمد بن أبي المؤمل وأصحابه قد كشف لنا عن تطوير الحدث ودفعه إلى الأمام ووضع مقصده الأساس من الزامهم الشرب على الريق قبل أكلهم الطعام قيد التنفيذ, فقد حقق الحوار غير الصريح في سردية المائدة ضمن القصة وظائفه وعمل على تحريك الحدث وتطويره .

فقد كانت النتيجة الأبرز من هذا الحوار تتمثل بإقناع أصحاب محمد بن أبي المؤمل بما يعتقده مما يندرج تحت صفة البخل الشديد الذي يحمله فكان التعامل معهم عن طريق الحوار مع التحليل والتأويل للوصول إلى مدى نجاح فكرة محمد بن أبي المؤمل على النحو الذي يقنع به أصحابه, فقد كانت الممارسة الحوارية غير الصريحة بين المتحاورين ماهي إلا طريقة توظيفية للحوار لدفع الحدث الأبرز للأمام وصب التركيز نحوه بما يضمن الوصول للمبتغى المقصود.

***الخاتمة :-** تجلى الحوار بوصفه وسيلة سردية مهمة في سرديات الجاحظ وجزءً من البناء العضوي لها, فقد أتى منسجمًا مع طبيعة الموقف الدائر بين الجماعات المتحاورة, إذ اعتمد الجاحظ على نوعي الحوار (الصريح وغير الصريح) ليلعب الحوار دوره البارز في رسم الصورة الحقيقية للبخلاء والكشف عن نواياهم ومدى بخلهم فضلًا عن سلوكياتهم و أسلوب حياتهم وأقوالهم وما يدور حول مائدتهم, وكانت لوظائف الحوار بوصفها تقنية سردية دورًا مهمًا في الكشف عن تلك البنية الحوارية لسرديات الجاحظ, إذ كانت النتيجة المستخلصة من وظيفتي الحوار تكمن في بنية الحدث السردي والتي من خلالها تسنى لنا الكشف عن الشخصيات المتحاورة وتتبع المسار السردي الذي يدفع بالحدث إلى الأمام مع بيان مدى بخل تلك الشخصية.

***الهوامش:-**

[1] - ينظر: جعفر, سوسن هادي, *المغامرة السردية وجماليات التشكيل القصصي _ رؤية فنية في مدونة فرج ياسين القصصية*, دائرة الثقافة والاعلام, الشارقة, ط1, 2010م: 48.

[2] - عبيد, محمد صابر , والبياتي, سوسن, *مرايا السرد وجماليات الخطاب القصصي*, دار العين للنشر, القاهرة, ط1, 2008م :36.
[3] - حمادة, ابراهيم, *معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية*, دار الشعب, د.ت : 172.
[4] - ينظر: مورغان, تشارنس, *الكاتب وعالمه*, ت:شكري محمد عياد, مراجعة: مصطفى حبيب, مطبعة المعرفة, القاهرة, 1964م:268.
[5] - ينظر :وارين, اوستن و ويلك , رينيه, *نظرية الأدب* , ت: محي الدين صبحي, مراجعة :حسام الخطيب, المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب , مطبعة خالد الطرابيشي, دمشق, 1972م :280.
[6] -ينظر : مقلد, طه عبدالفتاح, *الحوار في القصة والمسرحية والاذاعة والتلفزيون*, مكتبة الشباب, القاهرة, 1975م :118.
[7] - نجم, محمد يوسف , *فن القصة* , دار الثقافة, ط5, بيروت,1966م: 119.
[8] - ينظر : البلداوي, عدنان عبد النبي, *المصطلح التقليدي في القصيدة العربية- دراسة ونقد وتحليل*, مطبعة الشعب, بغداد, د.ت : 134.
[9] - ينظر: برنس, جيرالد, *قاموس السرديات* ,ت: السيد أمام, ميريت للنشر والمعلومات, ط1, القاهرة, 2003م:44.
[10] - عبد السلام, فاتح, *الحوار القصصي – تقنياته وعلاقاته السردية*, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ط1, بيروت, 1999م: 29.
[11] - ينظر: ذنون , سالم محمد, *الحوار سمة فنية في شعر علي بن الجهم*, مجلة التربية والعلم, كلية التربية-جامعة الموصل, مج12, ع1, 2005م :194 .
[12] - ينظر :الهيتي, عبدالستار, *كتاب الأمة-الحوار- الذات والاخر*, وزارة الثقافة والشؤون الاسلامية, ط1, قطر- الدوحة, 1425ه -2004م:49.
[13] - الجاحظ, *البخلاء* ,ت: طه الحاجري, دار المعارف, ط7, د.ت: 73.
[14] -الجاحظ, *البخلاء* :73.
[15]- الجاحظ, *البخلاء* :73.
[16] - الجاحظ, *البخلاء* : 113.
[17] - ينظر: *الحوار سمة فنية في شعر علي بن الجهم*, سالم محمد ذنون, مجلة التربية والعلم, كلية التربية , جامعة الموصل, مج12, ع 1, 2005م: 198.
[18] - الجاحظ, *البخلاء* :103.
[19] - الجاحظ, *البخلاء* :103.
[20] - ينظر : إبراهيم, عبدالله, *البناء الفني لرواية الحرب في العراق* , دار الشؤون الثقافية العامة, ط1 , بغداد, 1988م :187.
[21] - ينظر : رشدي, رشاد, *فن القصة القصيرة دراسة تحليلية لفن كتابة القصة مع شروح القصة كاملة*, دار العودة, ط2 , بيروت, 1975م :56.
[22] - الجاحظ : 113.
[23] - الجاحظ, *البخلاء*: 133.
[24] - الجاحظ, *البخلاء* :100.